فلسفة الحب في طوق الحمامة لابن حزم ودورها في تعزيز القيم

أ.م.د حسام سعدي عبد الرزاق
جامعة الأنبار كلية التربية القائم
hssmalani@uoanbar.edu.iq

أ.د. خميس فزاع عمير الدليمي
جامعة الأنبار كلية التربية القائمأ.
d_ka60@uoanbar.edu.iq

د. أحمد صفاء عبد العزيز
جامعة الأنبار كلية التربية القائم
ahmad.saffa@uoanbar.edu.iq

تاريخ استلام البحث ٢٠٢٥/٢/١١ تاريخ قبول النشر ٢٠٢٥/٣/٢٦

الملخص

يهدف البحث الى الكشف عن السمات الفلسفية والفكرية لمفهوم الحب وما يتعلق به من افكار ونظرات عند ابن حزم الاندلسي من خلال كتابه طوق الحمامة الذي جسد فيه معاني الشعور الانساني وقد اعتمدنا في هذا البحث على المنهج التحليلي مستعينين بالدراسات السابقة وما توصلنا اليه من خلال القراءة والتأمل.

الكلمات المفتاحية (الحب، دلالة، فلسفة، الإسلام، الشعر)

المقدمة:

الحبّ من أسمى المشاعر التي تربط الناس، وترتقي بأرواحهم إلى عوالم أخرى، فالإنسان الذي ليس لديه الرغبة في أن يُحِبُّ أو أن يُحَبُّ ليس من بني البشر، فقد كانت هناك كتابات مختلفة قبل ابن حزم تناولت موضوع الحبّ، و لكنّ ابن حزم تصدّى له من منظور آخر، فحلّل حال العاشقين، و ذكر أعراض الحبّ وعلاماته وآفاته، وذكر العديد من القصص الواقعية التي خبرها بنفسه، و من هنا أراد الباحث التعريف بهذا الكتاب مبينًا منهج بحث ابن حزم، و قد حدّد أنواع الحبّ وتطرّق للحبّ السلبي المعاصر، محاولًا أن يقدّم في بحثه دراسة جديدة تغني الدراسات الحديثة.

انطلق البحث من إشكالية:

١- ما الذي أعطى طوق الحمامة هذه المكانة؟

٢- ما المنهج الذي سار عليه ابن حزم في طوق الحمامة؟

٣- ما الفرق بين الحبّ لغة واصطلاحاً والحبّ في الإسلام؟

٤- كيف تحوّل الحبّ إلى الحبّ السلبي؟

لبحث هذه الإشكالية قام الباحثون بتقسيم البحث إلى مقدمة وثلاثة مباحث وخاتمة.

المبحث الأول: طوق الحمامة لابن حزم قُسّم إلى مطلبين:

المطلب الأول: التعريف بابن حزم.

المطلب الثاني: التعريف بكتاب طوق الحمامة.

المبحث الثاني قراءة نقدية لطوق الحمامة لابن حزم، قسّم إلى مطلبين:

المطلب الأول: منهج ابن حزم في طوق الحمامة.

المطلب الثاني: الآراء النقدية حول طوق الحمامة والتأثّر بها.

المبحث الثالث: الحبّ السلبي المعاصر، وقسّم إلى ثلاثة مطالب.

المطلب الأول: تعريف الحبّ لغة واصطلاحًا.

المطلب الثاني: الحبّ في الإسلام.

المطلب الثالث: الحبّ السلبي المعاصر.

وأخيراً ختم الموضوع بخاتمة جمع فيها النتائج التي توصّل إليها.

سبب اختيار البحث:

- إلقاء الضوء على أنواع الحبّ.
- بيان أهمية الحبّ في الحياة وضرورة الالتزام بتعاليم الدين.
- توضيح الجوانب السلبية التي تعترض الحبّ فتجعله وبالًا على صاحبه.

منهج البحث:

اعتمد الباحثون المنهج الاستقرائي والتحليلي من خلال قراءة كتاب طوق الحمامة، ثم قراءة الأبحاث التي دارت في فلكه، ثم الاطلاع على دراسات نفسية حول الحبّ.

التمهيد (نظرة في الكتاب وصاحبه)

التعريف بابن حزم:

هو "علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الظاهري، أبو محمد، عالم الأندلس في عصره، وأحد أئمة الإسلام، صاحب مذهب الحزمية، وكان في الأندلس خلق كثير ينتسبون إلى مذهبه، ولد بقرطبة سنة (٣٨٥ – ٩٩٤ م) (الاندلسي، ١٩٨٣، صفحة ٣).

" أمضى ابن حزم طفولة رخية وضعيفة وكسولة، طفولة ابن وزير، يشبّ في أبهاء القصر وتحت رعاية الخدم، وبين مناغاة النساء من القيان والجواري والإماء، على أيديهن نشأ، ومعهن تربّى، ولم يعرف غيرهن من الرجال إلى حدّ الشباب، وكنّ حاضناته وأستاذاته، علّمنه القرآن، ورويّنه الشعر" (مكي، ١٩٧٧، صفحة ٧٥)

وقد " قُدّر لابن حزم أن يجيء إلى الحياة في أشد لحظات الأندلس قساوة و مأساة، فقد شهد شمس الخلافة تنحدر نحو المغيب، و قاوم ما استطاع لكي يُبقي عليها، و رآها تتناثر مزقًا، و تقوم على أنقاضها دويلات صغيرة" (مكي، ١٩٧٧) (مكي، دراسات عن ابن حزم وكتابه طوق الحمامة ، ١٩٧٧، صفحة ٧٢) ، على الرغم من أنه " نشأ نشأة مترفة في أسرة غنية وجيهة و ذات مركز سياسي مرموق في الدولة، بالإضافة إلى ميل آل حزم إلى الدولة المروانية القائمة في الأندلس، كان نفر من آل حزم في مناصب الدولة ومنها الوزارة" (فروخ، ١٩٨٠، صفحة ٥٤) ، و قد أنفق ابن حزم وقته في تحصيل العلم ونشره و اتخذ لنفسه بعدها مذهبًا خاصًا و آراء تفرد بها" (الأندلسي، ١٩٨٣، صفحة ٣).

عُرِفَ ابن حزم بآرائه الفقهية الخاصة ومناقشته آراء أهل الملل والنحل في مختلف العلوم فقد كان واحدًا من رموز المذهب الظاهري في الفقه، مخالفًا بذلك ما كان سائدًا في عصره، فنفرت منه القلوب، وأجمعوا على تضليله وشنعوا عليه، وحذروا سلاطينهم، فأقصته الملوك والحكام وأوغرت عليه صدور الأعداء والخصوم، فمُزّقت كتبه وأُحْرِقَت (الأندلسي، جمهرة أنساب العرب، ١٩٨٣، صفحة ٣).

شيوخه:

تلقى تعليمه على يد "كبار الأساتذة في قرطبة يجيئون إليه أو يذهب إليهم، أساتذة يمثلون كل الأفكار من أشدّ الناس ورعًا وزهدًا إلى أكثرهم جرأة وتحررًا وتمردًا" (مكي، دراسات عن ابن حزم وكتابه طوق الحمامة، ١٩٧٧، صفحة ٧٧). ومن أقوال العلماء فيه: "قال أبو العباس بن العريف: كان لسان ابن حزم وسيف الحجاج بن يوسف شقيقين" (آغا، ٢٠٠٥، صفحة ١٠).

من مؤلفاته: ومما وصل إلينا:

١- التاريخ والنسب والسياسة: جوامع السيرة النبوية، رسالة أسماء الصحابة والرواة.

٢- الفقه وأصوله: المحلى بالآثار شرح المجلى بالاختصار، النبذة الكافية في أحكام أصول الدين وهو مختصر للإحكام.

٣- العقائد والفلسفة والمنطق: الفصل في الملل والأهواء والنحل، التقريب لحد المنطق والمدخل إليه بالألفاظ العامية والأمثلة الفقهية.

المطلب الثاني: التعريف بطوق الحمامة.

يُعدُّ طوق الحمامة لابن حزم الأندلسي من أروع ما كُتب في دراسة الحب، فقد حلّل ابن حزم أعراضه وأبعاده النفسية، وسبر أغوار النفس الإنسانية وما يصدر عنها من مشاعر أفعال وأفكا، وجمع بين الإبداع النثري والإبداع الشعري، والتحليل النفسي، وهو الأول في عصره، إذ إنه الكتاب الأول الذي تحدّث عن الألفة والألاف، وربط ما يصدر عن الإنسان من مشاعر وأفعال وأفكار.

وصف الكتاب:

يوصف كتاب طوق الحمامة بأنه "يلتقي فيه الشاعر وعالم النفس ليرسما لوحة جميلة للحياة العاطفية على أيامه، ففي رسالته يذكر فضائل أهل الأندلس، كأنما عنى بها نفسه، رغم أنه كتب الرسالة في زمن مبكر نسبيًا" (الأندلسي، طوق الحمامة، ٢٠١٦، صفحة ٧)، وقد عرض نظريته النفسية عن الحبّ في ثلاثين بابًا، عشرة منها في أصول الحب، واثنا عشر في أعراض الحبّ وصفاته المحمودة والمذمومة، وستة في الآفات الداخلة على الحبّ، وباب في قبح المعصية، والباب الأخير في فضل التعفف.

المطلب الأول: منهج ابن حزم في طوق الحمامة.

عندما نوى ابن حزم أن يكتب رسالة في صفة الحبّ ومعانيه وأسبابه وأعراضه، وما يقع فيه وله على سبيل الحقيقة، بدون تزيّد أو تفنن، أخذ يتصوّر خطّة لتلك الرسالة فألزم نفسه بعدّة نقاط منها:

- الواقعية: التزم بأن لا يورد إلا تجارب واقعية مما وقع له نفسه، أو مما وقع لغيره، وحدّثه به الثقات، مما أبعد عن الرسالة حكايات الأسمار والخيالات، وأبعد الرسالة من التردي في المبالغات، فكانت الغاية أن يصوّر الحبّ في الواقع الأندلسي بشكل خاص.

- التجريب: قد جعل هذا المنهج الرسالة ليست ذات غايات أخلاقية، ولم تسلم من ذلك سلامة مطلقة، فقد أورد بعض القصص غير الأخلاقية في رسالته، ولكنّ أخلاقية كاتبها طغت عليها، تلك الأخلاقية التي ستسفر عن وجهها عمدًا في الخاتمة.

- البعد عن التكرار: ذلك أنه لم يذكر غير القصص التي وقعت في الأندلس، فابتعد عن المواقف البدوية، مما أبعده عن الوقوف على الطلول، والأنس بالبروق إلى غير ذلك من مظاهر الحب البدوي.

- تقديم الوجه الحضاري لقرطبة: فقد عكس تعلّقه بالمدينة التي أحبّها، ولهذا لم يَغُص في سلبياتها، ويثور عليها، بل استمدّ أمثلة التعفف من مجتمعها.

- الاقتصار في ذكر الأسماء على مَن لا ضرر في تسميتهم، ولم يذكر الأسماء في بعض المواقع، وكأن إخفاء الاسم في قصة وتركه في قصة أخرى جعله يورد القصة أكثر من مرة فقد روى عن نفسه فقال مرة: ودعني أخبرك أنني أحببت في صباي جارية شقراء الشعر في باب مَن أحبّ صفة ولم يستحسن بعدها غيرها، وقال في موضع آخر: وذلك أنني كنت أشدّ الناس كلفًا وأعظمهم حبًا بجارية لي، وكانت فيما خلا اسمها نَعَم، فلم يحدد إن كانت هي نفسها، فقد ذكر اسمها مرة، ولم يذكر اسمها في المرة الثانية.

- الاستشهاد في الرسالة بأشعاره فقط: فقد أراد أن يتيح الفرصة لنفسه بعرض شعر الصبا والشباب، بعد أن كان آخذًا بالتحوّل عن هذا اللون الوجداني في الشعر.

- الدقّة في تقسيم الرسالة: فقد وضع خطة سليمة مما حمى الرسالة من الخلط والتكرار، وجعلها مقسّمة بشكل منطقي متدرج.

- استبعاد موضوعات تتصل بالحبّ: فجعلها هامشية ضمن الفصول التي قسّمها من مثل الشوق والحنين والبكاء، فجعلها من علامات الحبّ.

- الاعتماد على النثر الذي كان أكثر شاعرية وأكثر حيوية. (الأندلسي، رسائل ابن حزم، ١٩٨٠، الصفحات ٥٢-٦٠).

فاستطاع في هذا الكتاب أن يخطّ لنفسه منهجًا ما سُبق إليه، و قد وضّح العديد من الباحثين منهج ابن حزم فقال إحسان عباس عن ذلك أنّ ابن حزم " ذكر أخبار الأندلسيين الذين وقعوا في الحبّ وعانوه، فهو يرى أن الحبّ غير محرّم في الأديان وغير محظور في الشريعة، وهو داء ليس له دواء، ولا يرغب الواقعون فيه البرء منه، وله علامات ودلائل، وللمحبّين طرق مختلفة في الحبّ، فمنهم مَن تتوقّد جذوة الحبّ في قلبه من نظرة واحدة، ومنهم مَن احتاج إلى التوغل فيه بكلّ مشاعره ليتيقّن منه، وعندما تقرأ طوق الحمامة تجد نفسك أمام فيض من ذكرياته عن نفسه وعن أصدقائه وآخرين مجهولين، و كلّهم من العشاق، زفراتهم حارة، و أحاسيسهم صادقة، يخلطون المداد بالدمع، ويستخدمون في التراسل الحمام والعيون والرسل، ويعانون من الوشاة، ويموتون من الحبّ، وهو إلى جانب ذلك معرض حافل بالحديث عن شيوخ ابن حزم، والشخصيات العامّة في قرطبة، و بالإشارات التاريخية، والأحداث الهامّة، و الحفلات الخاصّة، وتخطيط للعاصمة ومعمارها، ومساكن آل حزم ومستواها، وكلّها تتحرك نابضة بالحياة، و تمضي متماسكة مثل عناقيد العنب، وهو قبل ذلك كلّه سيرة ذاتية للمؤلف خطّها بقلمه، و اعترافات مخلصة ألقى بها في جرأة و صدق غير معهودين في الفكر العربي على أيامه " (عباس، ١٩٦٠، صفحة ٢٢٦).

فقد بيّن أهم ما يميز منهج ابن حزم ألا وهو الصدق والجرأة.

كان الأسلوب الغالب هو الأسلوب السردي المباشر " فقد قصّ تلك الذكريات بطريقة مباشرة، وبشكل دقيق وقوي، كان فيها واضحًا وذكيًا ومتعمقًا في تفكيره وسبره لأغوار الشخصيات والحديث عن خلجات قلوبها بأسلوب لطيف بعيد عن التعقيد" (عباس، تاريخ الأدب الأندلسي، ١٩٦٠، صفحة ٢١٨).

وهكذا نرى أن منهج ابن حزم كان يعتمد على الوضوح والبساطة والبعد عن التعقيد، فهو سيرة ذاتية، نرى فيها ضمير المتكلم حيًا يعبّر عن روح الكاتب من مثل قول ابن حزم: " ما نسيت ذلك اليوم ولا أنساه إلى يوم مفارقتي الدنيا" (الأندلسي، طوق الحمامة، ٢٠١٦، صفحة ٢٥١)، فنلاحظ في هذه القصة ملامح عاطفة رقيقة، وهو يتحدث عن تعلقه بجارية جميلة، فالحبّ في نظر ابن حزم يتجاوز ما هو حسي، فهو يرى أن الحب " اتصال بين أجزاء النفوس المقسومة في هذه الخليقة في أصل عنصرها الرفيع، قال تعالى:﴿ هو الذي خلقكم من نفس واحدة و جعل منها زوجها ليسكن إليها﴾ الأعراف:١٨٩، فجعل علّة السكون أنّها منه، ولو كان علّة الحب حُسن الصورة الجسدية لوجب ألا يستحسن إلا نقص من الصورة، ونحن نجد كثيرًا ممن يُؤثِر الأدنى ويعلم فضل غيره، ولا يجد محيدًا لقلبه عنه" (الأندلسي، طوق الحمامة، ٢٠١٦، صفحة ٩٤).

و "رغم أن ابن حزم أخفق مرات عديدة في حبه إلا أنه انطوى على مشاعر رقيقة لم تفقد توهجها، ولا تعرف ما هو حسي، فهو يرى أنّ اجتماع الأرواح وليس التقاء الأبدان هو الذي يبقي على الحبّ، لقد كانت روحية عشقه حقيقة واقعة" (آغا، مقدمة طوق الحمامة، ٢٠٠٥، صفحة ٢٢).

وفي كتاب طرق الحمامة "إشارات نفسية كثيرة من مثل بيان علامات الحبّ، و ما يحدث للمحبّين عند تمكّن الحبّ من قلوبهم، و كذلك ردّ الفعل المختلف عند الوقوع بالحبّ، وما يترتّب على ذلك من آثار سلبية أو إيجابية، وهناك إشارة لأهمية الحبّ الأوّل في نفس المحبّ، حتى أنّه يؤثّر على علاقات الحبّ التي يختبرها لاحقًا، وابن حزم في هذا الكتاب يفيض تحديًا ويلتهب حماسة، و يعترض بكل ما أوتي من قوة أحداثًا كبيرة، و كأنه في هذه الرسالة ينتقل من حالات الحبّ المتعثّرة التي عاناها إلى حالة الأندلس التي كانت تعاني من العثرات المتكررة.

وقد امتاز الكتاب بمنهج الصدق الأدبي، مع الملاحظات الدقيقة والفكر المحلّق، وقد قال بعض مؤرخي عصره: أن نثره لا يكاد يفترق عن شعره من ناحية الجرس والموسيقى الداخلية والسلاسة والتلقائية والسهولة" (آغا، مقدمة طوق الحمامة، ٢٠٠٥، صفحة ٢٥).

ونجد في رسالته طوق الحمامة ثقافته الفلسفية بارزة، إذ يعتمد في التعريفات على الفلسفة ويزكيها بنصوص من القرآن الكريم ويهتمّ بالعلل والمقدمات والنتائج.

المطلب الثاني: الآراء النقدية حول طوق الحمامة والتأثر بها.

اجتمعت لهذا الكتاب "فنون من العناصر، ميّزته بين غيره من الكتب الأندلسية، منها أنّه كتاب في الحب يكتبه فقيه من فقهاء الأندلس كان شديد العارضة في المدافعة عن الدين" (عباس، تاريخ الأدب الأندلسي، ١٩٦٠، صفحة ٢٨٢).

وقد كان بسيطا في طرحه، وقد اعتبر بعض النقاد أن التبسيط فيه من العيوب في الرسالة ولكنها لا تغضّ من قيمتها (عباس، تاريخ الأدب الأندلسي، ١٩٦٠، صفحة ٢٨٥).

وبهذا الأسلوب الرفيع الذي لا يتعمد التكلّف والصنعة سرد ابن حزم القصص الواقعية متحدثًا عن الحبّ العذري العفيف وتجاربه وتجارب محبيه مبينًا ما للحبّ من سلطان على النفوس.

وقد "طُبع كتاب طوق الحمامة أكثر من ست طبعات وتُرجم إلى أغلب لغات أوروبا بما فيها الهولندية، وقد صرحت - ريمكو كروك – أستاذة اللغة العربية بجامعة ليدن أنّ ابن حزم قد استخدم مجموعة من العبارات التي تعتبر غاية في الدقة، وقد كان من الصعب وجود نظيرها في اللغة الهولندية، وقالت: لم أغيّر شيئًا كبيرًا في المضمون، و لكن حاولتُ تجاوز بعض الكلمات التي ليس لها مرادف في اللغة الهولندية بكلمات قريبة، حتى يسهل على القارئ متابعة التسلسل القصصي، كما اضطررت لحذف صيغ استطراديه، حتى لا يغرق القارئ في تتبع كلمات لا علاقة لها بصلب الموضوع " (الدجبي).

وقد تأثّر بابن حزم العديد من الأدباء الإسبانيين والإيطاليين، فقد ذكر الطاهر مكي في هامش تحقيقه للكتاب أن ابن حزم تحدّث عن الوصل فوصفه بعبارة (الحياة المجدَّدة).

إنّ هذه العبارة " لفتت عامة المستشرقين لأنها تتطابق مع نفس العنوان الذي اختاره دانتي الإيطالي (١٢٦٥- ١٣٢١م) لكتابه (La Vita Nova) الرائع، وهو على غرار طوق الحمامة وهو طاقة طريفة من أقاصيص الحبّ ومقطعات الشعر والتحليل النفسي الخُلقي، مما يؤكّد معرفته بالطوق، ولا يشكّ آسين بلاسيوس – كما ذكر بالنثيا – في معرفة دانتي بالتراث الأدبي الأندلسي ويذكر ابن حزم قصة في باب القنوع من المحبوب بأي شيء عن امرأة في صقلية شاهدت شابًا

في غاية الجمال بأحد المتنزهات فسارت خلفه تنظر إليه، فلما بَعُدَ أتت إلى المكان الذي أثّر فيه مشيه وجعلت تقبّل الأرض في مواقع قدميه، ويقول بالنثيا: إن شاعرهم الإسباني المبدع (ماثيوس) حاكى هذه القصة بنفس الصنيع , فيبدو أنه كان لطوق الحمامة ترجمة لاتينية مبكّرة , وأخرى إلى الإسبانية " (ضيف، صفحة ٥٠٠).

المطلب الثالث: الحب السلبي المعاصر.

عرّف ابن حزم الحبّ فقال:" الحبّ أوّله هزل وآخره جدّ، دقّت معانيه لجلالتها عن أن تُوصف، فلا تُدرك حقيقتها إلا بالمعاناة" (الأندلسي، طوق الحمامة، ٢٠١٦، صفحة ١١).

"وقد فسّر علماء النفس الحبّ بأنه: تابع للإدراك، فإنه ينقسم بحسب انقسام القوة المدركة التي هي الحواس الخمسة الظاهرة والحواس الباطنة والقوة العاقلة، فمن الأول الصور الجميلة المرئية و النغمات الموزونة و الروائح الطيبة وما شابه ذلك، ومن الثاني كالصور الملائمة الخيالية والمعاني الجزئية الملائمة للمتخيّلَة، ومن الثالث كالمعاني الكلية والذوات المجردة، ولا ريب أن الثالث أقوى اللذات وأبلغها، فإن البصيرة الباطنة أقوى وأنفذ من البصيرة الظاهرة ومن هذا المنطلق جعل الرسول صلى الله عليه وسلم الصلاة أبلغ المحبوبات عنده في الدنيا إذ قال: (حُبّبَ إليّ من دنياكم ثلاث: الطيب والنساء وجعلت قرّة عيني في الصلاة) فالالتذاذ بالطيب لذّة شمية، وبالنساء نظرية ولمسية، والالتذاذ بالصلاة لذّة عقلية تفوق اللذات فكانت قرة عين" (الأندلسي، طوق الحمامة، ٢٠١٦، صفحة ١٢).

المطلب الثاني: الحب في الإسلام.

جعل الله العلاقة بين الزوجين تقوم على المودة والسكينة والرحمة، وشرع الله الحب بين الزوجين، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (الحمد لله الذي رزقني حبَّ عائشة)، (النيسابوري، ١٩٩١، صفحة ٢٤٣٥) وهو حب مشروع ومبارك من الله عز وجل الذي قال: ﴿ ومن آياته أن خلق لكم من انفسكم أزواجًا لتسكنوا إليها و جعل بينكم مودة ورحمة ﴾ (الروم آية ٢١).

وقد أشار ابن حزم إلى الحبّ ضمن الإطار الشرعي في طوق الحمامة إذ قال: "الحب ليس بمنكر في الديانة ولا محظور في الشريعة، إذ القلوب بيد الله عزّ وجل" (الأندلسي، طوق الحمامة، ٢٠١٦، صفحة ٩٠). وجعل ابن حزم الحب ضروب هي: " محبة المتحابين في الله , ومحبة القرابة , ومحبة الألفة والاشتراك في المطالب، ومحبة التصاحب والمعرفة، ومحبة البر يضعه عند أخيه، ومحبة الطمع في جاه المحبوب، ومحبة المتحابين لسرّ يجتمعان عليه يلزمهما ستره، ومحبة بلوغ اللذة وقضاء الوطر، ومحبة العشق التي لا علّة لها إلا اتصال النفوس، ولا يَعْرِضُ في شيء من هذه الأجناس المذكورة، من شُغل البال و الخبل والوسواس، وتبدّل الغرائز المركبة، واستحالة السجايا المطبوعة، والنحول والزفير وسائر دلائل الشجا ما يُعرض في العشق، فصحّ بذلك أنه استحسان روحاني وامتزاج نفساني (الأندلسي، طوق الحمامة، ٢٠١٦، صفحة ٩٥).

المطلب الثالث: الحب السلبي المعاصر.

عند البحث بين الصفحات التي تناولت الحب بإيجابيات وسلبياته، وحلوه ومرّه وجدنا أن للحبّ السلبي أسبابا عديدة منها:

- أسباب تتعلق بالنظرة إلى الحب:

"قام أحد الأدباء بتصنيف الحب كما يلي:

الحبّ الأرستقراطي الدمث في القرن الثاني عشر

الحبّ العفيف في القرن الثالث عشر

الحبّ الأفلاطوني في القرن الخامس عشر

حبّ الغزل المحتشم في القرن السابع عشر

حبّ الغزل غير المحتشم في القرن الثامن عشر" (مكي، دراسات عن ابن حزم وكتابه طوق الحمامة، ١٩٧٧، صفحة ٧٩)، فالحبّ أصبح موضة تختلف من عصر لآخر فالحبّ في الستينات من القرن الماضي يختلف عن حبّ التسعينات يختلف عن حبّ العقود الحديثة.

أسباب نفسية:

إنّ التطور السريع الذي شهده العالم كان له آثار إيجابية عظيمة، إذ جعل الحياة أيسر، وأكثر متعة، وقرّب المسافات البعيدة، ولكنّ هذا التطور بعّد المسافات بين البشر، وأدّى إلى حياة اجتماعية ضعيفة ألقت ظلالها على النفس البشرية التي بدأت تعاني في صمت، ثم تحوّل الصمت إلى صخب جامح ومن الأسباب النفسية التي أثرت على الحبّ سلبًا:

- الحبّ الأعمى: التماس العذر للمحبوب في جميع الأحوال، كأنه معصوم أبد الدهر لا يخطئ على الإطلاق، فتجد المحبّ مدافعًا دفاعًا أعمى عن الشخص الذي يحبّه، سواء بحق أو بباطل، لأنه وقع في الهوة التي تجعله لا يميّز بين الصواب والخطأ من فرط المحبة.

- التعلق المرضي:

خيط رفيع يفصل بين الحبّ والتعلق المرضي، فكثيرًا ما يبرر الناس أفعالهم بأنها نوع من الاهتمام بالمحبوب، فالجميع بحاجة إلى الحبّ والشعور بأنهم موجودون في هذه الحياة، و لكن التعلق المرضي حالة تأسر الإنسان و تضع أمامه الكثير من العوائق وقد تصل لمنعه من مزاولة حياته بشكل سوي؛ لكن بعض المحبين تراهم مستمتعين بالعذاب والألم، " فالمرأة العاشقة تُؤثر ضروب القلق التي يسببها لها الرجل المحبوب على اللامبالاة غير المؤلمة، و نقرأ في رسائل الراهبة البرتغالية ماريانا ألكوفورادو جملًا موجهة إلى مغويها الخائن كهذه: أشكر لك من أعماق قلبي اليأس الذي سببته لي، وأكره الهدوء الذي كنت أعيش فيه قبل أن أعرفك" (غاسيت، ٢٠١٣، صفحة ١١).

- عدم التكافؤ: (إنّ إيجاد الشريك المتطابق بالكامل أمر مستحيل، ولكن التكافؤ في الأساسيات لا يقارن بالتفاصيل الصغيرة، والثانوية كالطباع البسيطة أو صفات لا تؤثّر بعمق شخصية الشريك بعيدًا عن كثرة اللوم والعتاب، وكثرة

التأنيب والتحقير، كل ذلك لا يحقق قربًا بينهما، بل تزيد الفجوة، وتشعرهما بالاستعلاء والوصاية، فإن المحب عليه أن يحترم الاختلافات بينه وبين شريكه إذا كانت لا تؤثّر على طبيعة العلاقة بينهما.

- فرط دلال الحب: إن الدلال المبالغ فيه باسم الحب سيأتي بثمار عكسية، فالحب أخذ وعطاء، وليس عطاء بالكامل أو أخذًا مستمرًا، وإلا تحوّل الأمر إلى أنانية وتملّك من طرف للطرف الآخر" (احذروا الوقوع في الحب، ٢٠١٨)، فيفقد الحبّ التوازن السوي، ويصبح جحيمًا يصطلي به المحبان.

- أسباب اجتماعية:

التغيير الذي شهده القرن العشرون ترك أعظم الأثر في العلاقات الاجتماعية بين أبناء المجتمع العربي المسلم، فطفت على السطح مفاهيم قديمة كانت قد اندثرت، وتغيّرت مفاهيم أخرى ومن ذلك:

- عودة مصطلح (الزير) أو (الدنجوان) ذلك الشاب الذي يسحر الفتيات بوسامته، ويخلب لبّهن بدماثته، وتتعدد عنده حالات الحبّ التي تحوّلت من إطار الحبّ السامي العفيف إلى ما يسمى بالغراميات، وقد نظر بعض الشبان إلى هذا النموذج وكأنه بطل عصره.

- التأثّر بالأفلام الرومانسية: يترك الإعلام بصمته الواضحة على نفوس المتابعين من كلا الجنسين، ويختلف التأثر بها حسب العمر والنضج العاطفي والجنس، فالنساء أكثر تأثرًا بهذه الأفلام، فحينما ترى أمامها مشاهد من حب ورومانسية هي محض تمثيل، ثم تلتفت لترى واقعها، زوج لا يتقن الكلام المعسول وإحضار الورد، وتذكّرَ المناسبات المختلفة تُصاب باليأس والإحباط، وتنقلب الحياة إلى جحيم.

- التنازل بلا حدود: الوقوع في فخ التنازل عن أساسيات أو طموحات ومعتقدات فكرية راسخة لأجل الحبيب.

أسباب اقتصادية:

- الفقر: قد يؤدي التعذر بالفقر عند بعض الأشخاص إلى تحول الحب من علاقة روحية سامية تتوج بالزواج ذلك الرابط الديني المقدس عند كل الشرائع إلى علاقة عابرة مدفوعة الثمن، فتصبح بعض الفتيات فريسة للمجتمع القاسي الذي لا يراعي فقرها وحاجتها بل يستغلها ليحولها إلى بائعة هوى، وهنا نجد أنّ الحبّ السلبي أفرز نماذج سيئة في المجتمع وأثقل كاهله، وكان أحد الأسباب في المعاناة التي يعيشها أبناء المجتمع.

وقد ذكر ابن حزم في كتابه طوق الحمامة جانبًا من الحب السلبي من ذلك:

- التعلق بالوهم: " باب مَن أحبّ في النوم، حيث يقول: من الخطأ العظيم أن تشغل نفسك بغير حقيقة، وتعلق وهمك بمعدوم لا يوجد " (الأندلسي، طوق الحمامة، ٢٠١٦، صفحة ١١٥).

- التعلق المرضي: وذلك قوله في باب البين: " وأنا أعلم من كان يغيب مَن يحبّ عن بصره يومًا واحدًا فيعتريه من الهلع والجزع وشغل البال وترادف الكرب ما يكاد يأتي عليه" (الأندلسي، طوق الحمامة، ٢٠١٦، صفحة ٢١٥).

- الوقوع في المعاصي: فقد قال: " وإن فيما يبدو إلينا من تعادي المتواصلين في غير ذات الله بعد الألفة، وتدابرهم بعد الوصال، وتقاطعهم بعد المودة، واستحكام الضغائن، وتأكد السخائم في صدورهم، لكاشفًا ناهيًا لو صادف عقولًا سليمة، وآراء نافذة وعزائم صحيحة، فكيف بما أعد الله لمن عصاه من النكال الشديد يوم الحساب وفي دار الجزاء، ومن الكشف على رؤوس الخلائق" (الأندلسي، طوق الحمامة، ٢٠١٦، صفحة ٢٨٢)، فهو هنا يبين مصير الحب السلبي في الدنيا لناظر قريب أو مصيره في الآخرة لمن آمن بالله وخاف عقابه.

فتحدث ابن حزم عن خطر الانسياق وراء الهوى والوقوع في المحظور، ونفى عن نفسه الزنا وجعله من الأشياء المُبْعِدَة للمودة والمحولة حالها إلى النفور والجفاء، فقد قال: " لا يقولن امرؤ: خلوت، فهو وإن انفرد فبمرأى ومسمع من علام الغيب الذي يعلم خائنة الأعين وما في الصدور، ويعلم السر وأخفى" (الأندلسي، طوق الحمامة، ٢٠١٦، صفحة ٢٨٤).

ثم أسهب في ذكر العقوبة والتذكير بالعذاب، وتحدث عن الشذوذ وعِظَم الفاحشة وعقوبة الفاعل والمفعول به، وقد قال في ذلك: (الأندلسي، طوق الحمامة، ٢٠١٦، صفحة ٢٨٥)

صن النفس عما عابها وارفض الهوى فإن الهوى مفتاح باب المهالك

رأيت الهوى سهل المبادئ لذيذها وعقباه مر الطعم ضنك المسالك

الخاتمة

الحبّ أساس الحياة الذي نادى به الشعراء، وتغنوا به فها هو الشاعر إيليا أبو ماضي يدعو الناس للحبّ قائلًا: (ماضي، ١٩١٨، صفحة ٤٨)

أيقظ شعورك بالمحبّة إن غفا لولا شعور الناس كانوا كالدمى

و قد استطاع ابن حزم في كتاب طوق الحمامة أن يجيب عن كثير من التساؤلات حول الحبّ، فقد ذكر أعراض الحبّ وأسبابه، وقسّمه إلى أنواع، وتصدّى لكتابه هذا بجرأة وشجاعة، فأغنى المكتبة العربية بهذا الكتاب القيّم، الذي انبرى الأدباء يكتبون عنه، وينهلون منه، ففي الوقت الذي أراد فيه ابن حزم في رسالته أن يسلّي صديقه، ويسلّي نفسه، وجد نفسه يرسم صورة مشرقة لقرطبة، ويضع كتابًا أصبح المرجع الأساسي لمعظم الدراسات التي تدور حول الحبّ وأعراضه وصفاته، فأغنى كتابه المكتبة العربية والعالمية، ذلك أن الكتاب يتناول موضوعًا إنسانيًا، و كان ابن حزم في رسالته قد رسم صورًا مختلفة للعشاق، وتجد أنه ضمنيًا يقف معهم، فهم لا يد لهم في العشق الذي ألمّ بهم، ولكنّه يقف موقفًا حادًا من كلّ مَن حاول أن يدنسُ الحبّ الروحي الجميل الذي نادى به، وحثّ عليه في الرسالة.

وفي هذه الدراسة حاول الباحثون أن يغوصوا في أعماق طوق الحمامة ليخرج ببعض ما أراده ابن حزم، فتحدّث عن كتاب طوق الحمامة وأسباب تأليفه ومنهج ابن حزم في كتابه مع ذكر آراء بعض النقاد في كتاب طوق الحمامة، وأضاف إليه دراسة عن الحبّ السلبي الذي بدأ يشكل خطرًا على المجتمعات العربية، فحاول أن يوضح جانبًا من هذا الحبّ وأسبابه.

والله ولي التوفيق

قائمة المصادر:

القرآن الكريم

١. ابراهيم إعرابي آغا. (٢٠٠٥). *مقدمة طوق الحمامة* بيروت لبنان: شركة دار الأرقم بن أبي الأرقم.
٢. ابن حزم الأندلسي. (١٩٨٠). *رسائل ابن حزم*. بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر.
٣. ابن حزم الأندلسي. (١٩٨٣). *جمهرة انساب العرب* (المجلد ١). بيروت: دار الكتب العلمية.
٤. ابن حزم الأندلسي. (٢٠١٦). *طوق الحمامة*. مصر: مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة.
٥. احذروا الوقوع في الحب. (٢٠١٨). *مجلة سيدتي*.
٦. احسان عباس. (١٩٦٠). *تاريخ الأدب الأندلسي*. بيروت: دار الثقافة.
٧. الطاهر أحمد مكي. (١٩٧٧). *دراسات عن ابن حزم وكتابه طوق الحمامة* . مصر: مكتبة وهبة .
٨. ايليا أبو ماضي. (١٩١٨). *ديوان ايليا أبو ماضي*. بيروت: دار العودة بيروت.
٩. خوسيه أورتغا إي غاسيت. (٢٠١٣). *دراسات في الحب*. سوريا: الهيئة العامة السورية للكتاب.
١٠. شوقي ضيف. (بلا تاريخ). *تاريخ الأدب العربي*. القاهرة: دار المعارف.
١١. علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الاندلسي. (١٩٨٣). *جمهرة أنساب العرب*. بيروت: دار الكتب العلمية.
١٢. عمر فروخ. (١٩٨٠). *دراسات في الأدب والعلم والفلسفة* بيروت: دار لبنان للطباعة والنشر.
١٣. مسلم بن الحجاج النيسابوري. (١٩٩١). *صحيح مسلم* لبنان: دار الكتب العلمية.
١٤. نصر الدين الدجبي. (بلا تاريخ). *الجزيرة نت*.

فەلسەفەی خۆشەویستی لە ئەڵقەی کۆتردا لەلایەن ئیبن حازم و ڕۆڵی لە بڕەودان بە بەهاکان

پرۆفیسۆر دکتۆر حوسام سەعدی عەبدولڕەزاق - زانکۆی ئەنبار
پرۆفیسۆر دکتۆر خەمیس فزاع عومیر الدولەیمی - زانکۆی ئەنبار
پرۆفیسۆر دکتۆر ئەحمەد سەفا عەبدولعەزیز - زانکۆی ئەنبار

پوختە

ئامانجی توێژینەوەکە ئاشکراکردنی خەسڵەتە فەلسەفی و فیکریەکانی چەمکی خۆشەویستی و بیروبۆچوونە پەیوەندیدارەکان بە پێی ئیبن حازم ئەندەلوسی لە ڕێگەی کتێبی ئەڵقەی کۆترەوە کە تێیدا مانای هەستی مرۆڤی بەرجەستە کردووە. لەم توێژینەوەیەدا، ئێمە پشتمان بە میتۆدێکی شیکاری بەست، بە بەکارهێنانی توێژینەوەکانی پێشوو و ئەوەی لە ڕێگەی خوێندنەوە و تێڕامانەوە پێی گەیشتووین. وشە وشەکان (خۆشەویستی، گرنگی، فەلسەفە، ئیسلام، شیعر)

The philosophy of love in 'The Ring of the Dove' by Ibn Hazm and its role in promoting values.

Prof. Dr. Hossam Saadi Abdul Razzaq - Al-Anbar University
Prof. Dr. Khamees Faza' Umayr Al-Dulaimi - Al-Anbar University
Prof. Dr. Ahmed Safaa Abdul Aziz - Al-Anbar University

Abstract:

The research aims to reveal the philosophical and intellectual features of the concept of love and the ideas and views related to it in Ibn Hazm Al-Andalusi through his book, The Ring of the Dove, in which he embodied the meanings of human feelings. In this research, we relied on the analytical method, drawing on previous studies and what we reached through reading and contemplation.

Keywords (love, indication, philosophy, Islam, poetry)